المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد الثامن عشر، يونيو ٢٠١٧ م

علي أحمد باكثير: إسهاماته في نهضة الأدب الإسلامي

الدكتور أبو جمال محمد قطب الإسلام نعماني *

Abstract

Ali Ahmad Ba-Kathir is one of the famous Arabic writers in modern era, who have worked hard for enriching Islamic literature. He has strong contributions in the field of Arabic stories and dramas. He is among the generation of pioneers in this sector. So, his contributions require study and research. The researcher has tried, in this article, to present a short biography of Ali Ahmad Ba-Kathir along with the effective elements of his literature and his literary contributions. He has also mentioned here the literary and terminological meaning of "Al-Nahdah", "Al-Adab" and the concept of Islamic literature. At last he has described the contributions of Ba-Kathir in advancement of Islamic literature, purposes of Islamic stories and dramas and general characteristics of Ba-Kathir's literature.

Keywords: Biography, Elements of literature, An-Nahdah, Al Adab, Islamic literature, purposes of Islamic stories and dramas, General characteristics of Ba-Kathir's literature

ما من شك أن علي أحمد باكثير من الأدباء المشهورين في العصر الحديث الذين سعوا سعيا دؤوبا لنهضة الأدب الإسلامي، وله باع طويل في مجال القصة والمسرحية في الأدب العربي الحديث كما أن له إبداعات متنوعة ومؤلفات عديدة، وهو من جيل الرواد الذين يستحقون الدراسة والبحث الشامل والإشادة بأعمالهم والتعريف بها.

* أستاذ مشارك، قسم العربية، جامعة داكا

ولد علي أحمد باكثير في مدينة سورابايا بأندونيسيا لأبوين حضرميين يمينيين عام ١٣٣٠هـ الموافق ١٩١٠م[١]. يقول الدكتور محمد أبو بكر حميد في مقدمة لديوان "أزهار الربا في أشعار الصبا" أنه من الراجح أن ولادته عام ١٩٠٣م على الأقل. وقد تبين ذلك من خلال اتصاله ببعض أصدقائه في صباه ومن توليه إدارة مدرسة النهضة العلمية في سيئون عام ١٩٢٦م. ويقول إنه من غير المعقول أنه تولى إدارة المدرسة قبل بلوغه في سن العشرين[٢]. وتربى في كنف والديه وتعلم القرآن الكريم والمبادىء من اللغة العربية.

ولما بلغ عمره الثامنة أرسله والده إلى حضرموت لتعلم اللغة العربية والعلوم الدينية بعيدا عن حياة المدينة. فالتحق بمدرسة النهضة العلمية في سيئون، والتي كانت تهتم بالعلوم الدينية والعربية وقتذاك وتدرج في دراسته إلى الصفوف المتقدمة، وقرأ على يد عمه الشيخ محمد بن محمد باكثير كتب الفقه والنحو والأدب. وكانت له رغبة شديدة في الشعر القديم والحديث، وقرأ كثيرا من دواوين الشعر للأقدمين والمحدثين من شعراء العرب. ومن ضمنها ديوانا المتنبي وأحمد شوقي، واطلع على ديوان أبي تمام كما قرأ كتاب نيل الأوطار للشوكاني وسبل السلام للصنعاني، وكانت له مكتبة خاصة في سيئون حيث توجد فيها مجلدات ضخمة من مجلة المنار والهلال وكان يقرأها في وقت فراغه، وبدأ ينظم الشعر في سن الثالثة عشرة من عمره،[٣] وإليه أشار الأديب بقوله :"كانت نشأتي الأولى في حضرموت حيث بدأت أنظم الشعر منذ بلغت الثالثة عشرة من عمري، وكان جل اهتمامي بالشعر. ومبلغ اجتهادي للتبرير فيه، فلم أر ديوانا لشاعر من الأقدمين والمحدثين وقع في يدي إلا قرأته اهتماما وكان مثلي الأعلى في الأقدمين أبا الطيب المتنبي، وفي المحدثين أحمد شوقي."[٤]

وقد أدلى عمه الشيخ محمد بن محمد باكثير فكرة واضحة عن أديبنا في دراسته الأولية في مخطوطه :"البنان المشير في فضلاء آل كثير" أن علي بن أحمد نبيل نبيه ذوفهم جيد بارع، خرج به أبوه من جاوة وهو دون البلوغ، قرأ القرآن وحفظ منه ماشاء الله وصار من

أهل القسم الأعلى من مدرسة النهضة العلمية وترقى فيها ، وعد نبيها وحفظ المتون مثل الألفية والزبد والجوهرة وغيرها من متون التجويد كما حفظ اللامية لابن مالك وقرأ في شرحها على عمه جميع هذه الكتب وحضر الدروس وهرع إلى القاموس وحفظ من اللغة كثيرا ومن الأشعار أكثر وقال الشعر وخطب الخطب...[٥]

مصادر ثقافته

بعد تخرجه من مدرسة النهضة العلمية درس الكتب الآتية على يد عمه الشيخ محمد بن محمد باكثير فقد درس في : منهاج الطالبين للإمام النووي وشروحه ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لمحمد بن أحمد بن حمزة الرملي ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الشربيني وتحفة الخطيب على شرح الخطيب للبجيري والوجيز من الفقه لأبي حامد الغزالي وشرح الزبد من الفقه الشافعي وأسنى المطالب شرح روض الطالب لأبي يحيى زكريا بن محمد زكريا. أما في النحو واللغة فقد درس جملة كتب، أهمها : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك للقاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل وملحة الإعراب وشرحها لأبي محمد القاسم الحريري وقطر الندى وشرحه وشذور الذهب وشرحه ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري. وكما أنه حفظ من المتون والأراجيز الشعرية خلاصة الألفية في النحو ولامية الأفعال في النحو لمحمد بن عبد الله مالك وحفظ جوهرة التوحيد لبرهان الدين إبراهيم القاني والزبد أرجوزة في الفقه الشافعي لأحمد بن حسين بن رسلان، وكذلك قرأ كتبا في الأدب واللغة و العلوم المختلفة مثل كتاب الكشكول لبهاء الدين محمد بن حسن الحارثي العاملي ووفيات الأعيان لابن خلكان وآمالي المرتضى لأبي القاسم علي بن الحسين والكامل في اللغة والأدب لابن المبرد ونيل الأوطار للشوكاني وسبل السلام للصنعاني وشرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام لابن حجر العسقلاني، وهذه من أهم الكتب في العلوم والفنون المختلفة.[٦]

علما أن دراسة أديبنا هذه الكتب في سن دون العشرين إن دلت على شيء فإنها تدل على مرحلة وعيه في ذلك السن لعلوم الحديث والقرآن والفقه واللغة والأدب كما تدل أيضا على مدى الجد في التحصيل.

لم يقم باكثير في حضرموت طويلا حيث اضطر لأن يرحل عنها متجها إلى الحجاز بعد جولة مر فيها بعدن والصومال والحبشة. وفي عام ١٩٣٤م غادر باكثير الحجاز متجها إلى مصر والتحق بقسم اللغة الإنجليزية لكلية الآداب من جامعة القاهرة وحصل منها على شهادة الليسانس عام ١٩٣٩م ثم نال شهادة دبلوم من معهد التربية عام ١٩٤٠م . ثم عمل مدرسا للغة الإنجليزية لمدى ١٤ سنة قي المنصورة والقاهرة. انتقل بعدها إلى وزارة الثقافة ، قسم مصلحة الفنون ومنه إلى قسم الرقابة على المصنفات الأدبية. وحصل على الجنسية المصرية عام ١٩٥١م ثم قام برحلة ثقافية إلى فرنسا عام ١٩٥٤م ثم عاد منها إلى مصر لمواصلة مسيرته الأدبية في القصص والمسرحيات الخالدة في مختلف الموضوعات.[٧]

تم اختيار باكثير عضوا في لجنة القصة وفي لجنة الشعر للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. علما أنه شارك في كثير من المسابقات الأدبية، وفاز بالجائزة في كثير منها، ومن مسرحياته التي فاز فيها بجائزة الدولة في الأدب مسرحية "هاروت وماروت" عام ١٩٦٢م. لقد تشجع على كتابة المسرحية الشعرية أثناء دراسته في الكلية وترجم مسرحية : "روميو وجوليت" شعرا. وحصل على منحة التفرغ لمدة سنتين لكتابة ملحمة الخالدة عن فترة خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه. وكان آخر ما كتب في المسرحية مسرحيتي "التوراة الضائعة" و"حرب السويس". وقد توفى أديبنا العملاق في شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٩ه المتزامن مع ١٠ نوفمبر لعام ١٩٦٩م إثر نوبة قلبية حارة.[٨]

العوامل المؤثرة في أدبه

هناك عوامل متنوعة أثرت في نبوغه في الأدب ، وهي مندرجة في الذيل:

١. تكوينه الثقافي

لاشك أن البيئة الأسرية والمدرسية تعد العامل الأول في توجيه النشئ، وأسرة الأديب كانت تتمتع بمنزلة علمية كبيرة ساعدت في تكوينه الثقافي والإسلامي وكانت أسرته متكونة من المشائخ والأدباء والشعراء المشهورين مثل الشيخ عبد الصمد عبد الله باكثير الكندي والشيخ محمد بن عمر باكثير الكندي والشيخ عبد الرحمن بن باكثير الكندي والشيخ صالح بن عبد الصمد باكثير الكندي والشيخ عبد القادر بن أحمد باكثير والشيخ محمد بن محمد باكثير وغير ذلك. وقد أرسله والده إلى أخواله في حضرموت لتلقي العلوم والفنون وكانوا ماهرين في علوم العربية والشريعة. وفترة الطفولة هي الركيزة الأولى التي بنيت عليها ثقافته وظل أثره واضحا في إنتاجه الأدبي الوفير ولاينكر أحد أن الثقافة التي تلقاها الأديب في مراحل حياته الأولى من أثر يظل مصاحبا لقلمه إلى آخر كلمة كان يكتبها.[٩]

يمكن أن أقسم تكوينه الثقافي على مرحلتين:

المرحلة الأولى تشمل حياة الأديب ما قبل سفره إلى مصر وما بعده.

المرحلة الثانية تشمل حياة الأديب ما بعد سفره إلى مصر.

المرحلة الأولى:

تشمل سفره إلى حضرموت إلى عام ١٩٣٤م ، وهذه المرحلة تتكون من فترتين:

الفترة الأولى تبدأ بعد سفره من أندونسيا إلى حضرموت و دخول مدارسها حيث تعلم فيها اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي من فقه وتوحيد وحديث وقرأ القرآن الكريم وتلقى شيئا يسيرا من تفسيره. من هنا بدأ تكوينه الثقافي، وإليه أشار يحيى العلمي بقوله :

"وقد بدأت الملامح الأولى لهذا التكوين بحضرموت حين رحل إليها من أندونسيا. وهناك بدأت دراسته الأولى التي كانت معظمها دينية عربية."[١٠]

أثناء بقائه في حضرموت وعى تعاليم الدين الإسلامي وشرائعه واطلع على بعض المواقف الرائعة لكثير من علماء المسلمين المشهورين مثل أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية والعز بن عبد السلام وكما أنه كان يطلع على أخبار بعض المفكرين الإسلاميين في العالم الإسلامي وقت ذلك. وأنه اطلع كذلك على الفكر الإسلامي الصافي المستمد من العقيدة الإسلامية الصافية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ومال إليه وبدأ ينظر بتقدير إلى أولئك المصلحين من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما. وبدأ يحارب الأوضاع السيئة الموجودة في بلده من تقديس للأولياء ومن فهم قاصر لتعاليم الإسلام وأصدر مجلة باسم التهذيب. وكان ينقد فيها الجمود والتخلف ويدعو فيها إلى الفهم الصحيح والإدراك الكامل للدين الإسلامي الحنيف. وفي هذه الفترة اكتملت الملامح الواضحة لثقافة باكثير الإسلامية ومن ثم بدأ يهاجم التقليد الجامد والممارسات الخاطئة باسم الإسلام ، وظل كذلك حتى اضطر أن يغادر حضرموت متجها إلى الحجاز بعد أن احتج المشائخ على مسلكه.[١١]

الفترة الثانية من تكوينه الثقافي

وهذه الفترة امتداد للفترة الأولى حتى لم يلحق فيها تغيير كبير على ثقافته ولكنه شعر بجو ثقافي وديني مغائر لجو بلده. وفي الحجاز وجد الأديب الصفاء والسماحة الذين كان ينشد هما كما وجد هنا الأصدقاء الأوفياء وفيها رأى باكثير النوع الجديد من الشعر وهو المسرحيات الشعرية حيث قرأ بعض مسرحيات شوقي وتأثر بها وكتب مسرحيته الأولى "همام أو في عاصمة الأحقاف" حيث كتبها، وإليه أشار يحيى العلمي بقوله: "في السنوات المبكرة من شبابه حين كانت نفسه تزحم بسخط شديد على عوامل التخلف في

مجتمعه نراه يثور وينقد وينادي بحياة جديدة فيلبي فنه النداء فيكتب لنا أولى مسرحياته في مدينة الطائف أثناء إقامته بالحجاز."[١٢]

لقد عجب باكثير من ذلك الديوان الضخم المتكون من القصائد والمقطوعات الشعرية. وإنها الطلاقة جديدة لباكثير في عالم الأدب تعد حدا فاصلا بين باكثير الشاعر وباكثير المسرحي. يمكن أن أقول هنا : إن باكثير في الحجاز هو امتداد لباكثير في حضرموت من الناحية الفنية والثقافية ومسرحية همام تفصل بين المرحلة الأولى والمرحلة الثانية.[١٣]

المرحلة الثانية

هذه المرحلة بدأت بعد عام ١٩٣٤م حيث انتقل من الحجاز إلى مصر وهي بلد الأدب والفن والصحافة والتأليف. وجاء الأديب هنا مصمما على البقاء فيها لأنها كانت ملائمة ميوله الأدبية، ولأنها سوف تفتح آفاقا جديدة للأدب أمامه، والتحق بقسم اللغة الإنجليزية لكلية الآداب وكتب هناك مسرحية "أخناتون ونفرتيتي" وهذه هي مرحلة الثراء الفني في حياة باكثير. لو نظر أحد إلى "همام" و "أخناتون" بنظرة دقيقة تبين عنده القفزة الفنية الكبيرة الفاصلة بين المسرحيتين وقد ظل باكثير يستقي من منبعه الأول المستمد من العقيدة الإسلامية رغم التغير الطارئ على فكره. إن الحركة الثقافية في مصر تعد من أهم العوامل التي دفعت باكثير إلى الأمام حيث جعلته يغير من نظرته إلى الأدب، ويتخذ مسارا جديدا فيه ، وإليه ألمح باكثير بقوله : "كانت ثقافتي عربية خالصة، وظلت كذلك حتى حضرت إلى مصر..."[١٤]

إن مسرحيات باكثير ورواياته العديدة تؤكد للقارئ سعة ثقافته وكثرة اطلاعه كما تدل على جده ومثابرته في سبيل تحصيل ذلك. وأهم ميزات ثقافة باكثير الاتجاه الإسلامي االذي لم تؤثر عليه الثقافات المختلفة. وقد قال فؤاد دوارة في معرض حديثه عن مسرحية "قطط وفئران" لباكثير مؤلف هذه المسرحية من الجيل الأوسط من أدبائنا جيل نجيب محفوظ والشرقاوي والسحار ومحمود البدوي، وهو جيل يغلب الجد على أفراده ويتميز

بطاقات فنية مختارة وانتظام في الاطلاع والإنتاج، وباكثير من أكثر أدباء هذا الجيل جدا ومثابرة وانتظاما، فما يمر عام إلا وله كتاب أو أكثر."[١٥]

وقد أحسن علي متولى صلاح في تعليقه على باكثير: "أما الأستاذ – علي أحمد باكثير فنقول إنه لو أمكن أن يقال عن إنسان إنه خلق كاتبا مسرحيا لكان هو ذلك الإنسان."[١٦]

٢. فكره الديني المتأثر بالسلفية

إن الدراسة الدينية التي تعلمها باكثير في اليمن هي الرباط القوي الذي ربط بينه وبين أفكار السلف الصالح بل هي الجسر الذي ألحقه بكثير من الشخصيات الإسلامية في القرن الماضي كما وصله بالإخوان المسلمين في مصر. لو نظرنا إلى إنتاجه الأدبي نلاحظ فيه رغبته الصادقة في إصلاح بلده عن طريقة تنقية عقيدة المسلمين من الخرافات والبدع حيث رأيناه يفتتح مسرحيته الأولى "همام" بالآيات القرآنية : "واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف. (سورة الأحقاف : الأية :٢١)

رغبة الإصلاح الدينية لم تكن مقتصرة على بلده فقط بل جاوزت إلى الدول الإسلامية ككل. يقول حسن الصيرفي بن كامل الصيرفي في تصديره لمسرحية "همام": هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص فإذا كان ثائرا على حالة وطنه الراهنة فإنما هذه الثورة عين الإخلاص وما ثورته إلا لرغبة في الإصلاح". ويقول الدكتور محمود حامد شوكت عن باكثير :"ونزعته في إدراك الحقيقة التاريخية نزعة عربية إسلامية."[١٧]

ويشير إلى ذلك عز الدين إسماعيل بقوله : "وفي وسعنا أن نوجز حصيلته الفنية شكلا ومضمونا في تلك الفترة الباكرة من حياته بأنه أتقن المعجم الشعري القديم وتشبع بروح إسلامي شفيف وأصيل."[١٨]

٣. تخلف قومه وتكالب المستعمرين عليهم

هذا من أهم العوامل التي أثرت في تكوينه الثقافي، وقد أدرك الأديب باكثير هذا الواقع المر ورأى تخلف قومه في صور مختلفة، بعضها في حضرموت وبعضها في الحجاز وبعضها

في مصر، وقد صور هذا التخلف بأنواعه المتنوعة في مسرحياته تصويرا واضحا كما في مسرحية "همام" وتصويرا رمزيا كما في مسرحيتي "مسما رجحا" و "ماساة أوديب" و"الدودة والثعبان" وغيرها.

٤. نزعته القومية

تلاحظ النزعة القومية في أدب باكثير ولكنها لم تكن هذه منفكة عن الإسلام لأنه كان يدرك أن القومية إذا انفصلت عن الإسلام تصبح حجر عثرة في سبيل الترقي والتقدم وتؤذن للعرب بالذلة والمهانة بعد أن يكونوا أعزاء وذوي المجد.[١٩] وإليه أشار الشيخ محمد الغزالي بقوله : "اقتربت العروبة والإسلام من أمد بعيد في حضارة واحدة، وتاريخ مشترك، وشعر العالم كله بهذا الربط القوي الجامع، فهو إذا تصور الإسلام لايستطيع أن ينسى العرب الذين آمنوا به وطوفوا أرجاء العالم برسالته وهو إذا تصور العروبة لايستطيع أن ينسى الدين الذي أعلى شأنها،وخلد أدبها وجمع من شتاتها دولة قدمت للإنسانية أزكى المثل وأرجح القيم."[٢٠]

إن نزعة باكثير القومية البعيدة عن التطرف المقوت والخاضعة لتصوره الإسلام الصادق قد أثرت في إنتاجه الأدبي تأثيرا كبيرا. إن الذين يتابعون مسرحياته ورواياته لايمكن لهم أن يخطئوه.

أعماله الأدبية

بدأ علي أحمد باكثير نشاطه الأدبي منذ نعومة أظفاره. وفي المرحلة الأولى من حياته كان يكتب الشعر ثم غلب عليه النثر ثم انشغل بعد ذلك بالأدب الروائي والمسرحي. وفيما يلي بيان تقريبي لمساهماته الأدبية:

ا. الشعر الغنائي

مازال معظمه مخطوطا داخل كراساته ودفاتره مثل:

١. أزهار الربى في شعر الصبا

٢. باكورة الشعر (وهذه الأشعار قد كتبت أثناء تواجده في أندونيسيا)

٣. العدنيات وهي عدد من القصائد التي قالها في رحلته إلى أفريقيا مترددا بين عدن والصومال والحبشة.

٤. الحجازيات وهي مجموعة من الأشعار قالها أثناء مكثه في الحجاز.

٥. نظم البردة أو ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم وهي تضم مائتي وخمسين بيتا كتبها باكثير على نظام البوصيري في بردته.

ب. الشعر المسرحي

١.مسرحية همام، أو في بلاد الأحقاف

٢.مسرحية أخناتون ونفرتيتي

٣.مسرحية قصر الهودج

٤.مسرحية روميو وجوليت مترجمة عن مسرحية شكسبير

ج. الرواية النثرية

١. سلامة القس (وقد مثلت سينمائيا)

٢. وا إسلاماه (وهي رواية مستوحاة من جهاد المماليك)

٣. الثائر الأحمر

٤. سيرة شجاع

٥. ليلة النهر

٦. الفارس الجميل

د. المسرحية النثرية

١. الدكتور حازم

٢. الدنيا فوضى

٣. قطط وفيران (وقد عالج فيها بعض قضايا المجتمع المصري ومشكلاته)

٤. مأساة أديب

٥. شعب الله المختار

٦. إله إسرائيل

٧. شيلوك الجديد

٨. الدورة والثعبان (تناول باكثير في هذه المسرحيات الحمس قضية فلسطين واعتداء اليهود على الشعب الفلسطيني)

٩. مسمار جحا

١٠. الزعيم الأوحد

١١. حبل الغسيل

١٢. إمبراطورية في المزاد

عودة الفردوس (عالج الأديب فيها القضايا السياسية العامة، في مصر خاصة وفي الوطن الإسلامي عامة)

١٣. مسرح السياسة

١٤. إبراهيم باشا . وتضم مسرحيتين أخريين هما عمر المختار وفارس البلقاء

١٥. الفرعون الموعود

١٦. السلسلة والغفران

١٧. الفلاح الفصيح

١٨. سر الحاكم بأمرالله

١٩. أبو دلامة

٢٠. سر شهرزاد

٢١. دار بن لقمان

٢٢. أوزوريس

٢٣. شادة الإسلام (عالج الأديب فيها قضايا معاصرة مستحيا أحداثا تاريخية وأسطورية بعينها)

٢٤. هكذا لقي الله

٢٥. من فوق سبح سماوات

٢٦. ملحمة عمر تتكون من ١٨ جزءا.

وقد أضاف الدكتور السومحي إلى ذلك أعمال باكثير المسرحية المنتظرة للطبع

١. عرائس وعرسان

٢. مشاعر والربيع

٣. حزام العفة

٤. ثماني عشرة جلدة

٥. أحلام نابليون

٦. مأساة زينب

٧. شلبية

٨. قضية أهل الربع

٩. الوطن الأكبر

١٠. فاوست الحديد

١١. التوراة الضائعة

١٢. حرب البسوس

١٣. المحاكمة

بينما ذكر محقق ديوان "أزهار الربا في شعر الصبا" أن الأديب علي أحمد باكثير خلفه قرابة سبعين مسرحية وست روايات وعشرات التمثيليات والقصص القصيرة."[٢١]

في حين ذكر يحيى العلمي أن أثاره تربو على (٦٠) بين المسرحية و الدراسة.[٢٢]

مساهمات أعمال باكثير في نهضة الأدب الإسلامي

قبل أن أتطرق إلى ذكر مساهمات أعمال باكثير في نهضة الأدب الإسلامي أود أن ألفت أنظار القراء إلى معنى كل من النهضة والأدب والأدب الإسلامي بكل إيجاز. وإليكم بيان ذلك:

معنى النهضة لغة

إن كلمة "النهضة" مأخوذة من نهض فلان ينهض نهضا ونهوضا أى قام يقظا نشيطا، يقال : نهض من مكانه إلى كذا، نهض له، قام وتحرك إليه مسرعا، نهض الشيب في الشباب : أسرع إليه

- النهضة : الوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره.
- النهضة : الحركة.[٢٣]
- النهضة : الطاقة و القوة Power, ability
- النهضة : قومة Rising up, Rise
- النهضة : انبعاث Awaking , Renainsance
- النهضة : ازدهار، تقدم[24] Upswing , Advancement

معنى النهضة اصطلاحا

هي تغيرات تنقلها من حال إلى حال، وتطرأ على حياة الأمم، فإذا كان التغير من سيء إلى حسن، ومن ضعف إلى قوة سمي ذلك نهضة، وعكسه الانحطاط. والنهضة الأدبية هي ارتقاء فنون الأدب أو بعضها فنا و مضمونا.[٢٥] وأن النهضة الأدبية لابد من أن تظهر في اللفظة والعبارة، والأسلوب، والصورة الأدبية، وفي المعنى والموضوع.[٢٦]

ولايمكن لي أن أضع تعريفا للأدب الإسلامي بدون معرفة معنى الأدب لغة واصطلاحا. وفيما يلي أذكر معنى الأدب لغة و اصطلاحا ثم الأدب الإسلامي.

معنى الأدب لغة

١. أصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة و مأدبة، و الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وقد جاء في الحديث عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : "إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من مأدبته". وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بصنيع صنعه الله للناس، لهم فيه خير ومنافع.[٢٧]

٢. جاء في المعجم الوسيط، أدب – أدبا : صنع مأدبة، والقوم : دعاهم إلى مأدبته، وأدب فلان أدبا : راضه على المحاسن، و– حذق فنون الأدب، تأدبا : تعلم الأدب، ويقال :تأدب بأدب القرآن أو أدب الرسول عليه السلام : احتذاه، والأدب : رياضة النفس بالتعليم و التهذيب على ما ينبغي.[٢٨]

معنى الأدب اصطلاحا

لو تتبعنا المصادر والمراجع للغة العربية وآدابها نرى عدة معان اصطلاحية وتعريفات لكلمة الأدب، وفيما أدناه نذكر بعضا منها:

١. عرفه الكاتب الفرنسي الكبير الأستاذ سانت بيف بأنه "هو الكلام الذي يعبر عن الحقائق الأدبية والعواطف الإنسانية."[٢٩]

٢. يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات : "أدب اللغة ما أثر عن شعرائها، وكتابها من بدائع القول المشتمل على تصور الأخيلة الدقيقة، وتصوير المعاني الرقيقة، مما يهذب النفس، ويرقق الحس ويثقف اللسان."[٣٠]

٣. عرفه د. عبد المنعم خفاجي : "أدب اللغة العربية مأثور شعرها الجميل ونثرها البليغ المؤثر في النفس المثير للعواطف، وما يتصل به مما يعين على فهمه وتذوقه، ونقده من لغة، وأخبار وأيام،وأنساب ونحو ذلك."[٣١]

أنا أرى أن الأدب هو التعبير الجميل البليغ المؤثر من الشعر، والنثر الفني بعناصره الأربعة : العاطفة (Emotion)، والخيال(Imagination)، والفكر (Thought)، والصورة (Form) مما يهذب النفس، ويرقق الحس، ويثقف اللسان.

مفهوم الأدب الإسلامي

مامن شك أن الأدب الإسلامي مصطلح جديد قد كثر الكلام فيه ودار النقاش عليه وزادت التساؤلات عنه في الأوساط الأدبية المعاصرة واختلف الأدباء والنقاد العرب وغير العرب فيه اختلافا عنيفا، وفيما بعد تأصل هذا الأدب وارتسخ الآن كمذهب أدبي مستقل. وفيما يلي أذكر بعضا من تعريفات اصطلاحية للأدب الإسلامي.

١. عرف الدكتور نجيب الكيلاني الأدب الإسلامي قائلا : "الأدب الإسلامي تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم وباعث للمتعة والمنفعة ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف، والقيام بنشاط ما."[٣٢]

٢. عرفه عبد الرحمن صالح العشماوي قائلا : "هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخلائق عز وجل ومخلوقاته، ولايجافي القيم الإسلامية."[٣٣]

على ضوء التعريفين المذكورين للأدب الإسلامي قد تجلى لدينا أن الأدب الإسلامي يمتد زمانه ومكانه منذ ظهور الإسلام حتى يومنا هذا وفي الأدب العربي وغير العربي كالبنغالي والفارسي والتركي والإنجليزي والفرنسي والألماني وما إلى ذلك. كما يتجلى في مختلف الأنواع والفنون الأدبية من شعر وقصة ومسرح ومقالة وخطبة ورحلة وسيرة ونقد أدبي وغير ذلك.

إسهامات باكثير في نهضة الأدب الإسلامي

ما من شك أن علي أحمد باكثير خدم الإسلام والمسلمين طوال حياته، وأنه من الرجال الذين خدموا الفكر الإسلامي في أدبهم، وأن اتجاهه في جل قصصه ومسرحياته وأعماله الأدبية الأخرى اتجاه إسلامي واضح. وأن قصصه ومسرحياته رسمت الخطوط العريضة للقصة والمسرحية الإسلاميتين.

نحن نعلم جيدا أن الأدب بكل أنواعه سلاح حاد يصلح للخير كما يصلح للشر. وإليه أشار د. نجيب الكيلاني بقوله : "والفنون والآداب قد تكون نوعا من الخمر والمخدر، و قد تكون غذاء شهيا ونبعا صافيا طاهرا."[٣٤]

هذا النص يشير إلى أن الأدب بجميع أصنافه يعتبر من أهم الأسلحة التي يجب أن نستغلها في نشر هدانا كما استغلها غيرنا في نشر ضلالهم.

إلى هذه الحقيقة المرة لفت الأستاذ الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا أنظار القراء بقوله :"إن إقبال جماهير القراء على الفنون الأدبية الحديثة وخاصة القصة والأقصوصة والمسرحية يجب أن يفتح أعيننا على هذا السلاح الخطير الذي يتسلح به الشر ليثبت قدميه في حياة أمتنا، وأن يحفزنا لأن ننتزع منه هذا السلاح وأن نضعه في الأيدي الخيرة القادرة على استعماله في سبيل الخير والبر والإحسان. لقد سمعنا أكثر من دعوة أطلقت على المنابر لمقاطعة الصحف الخليعة، والقصص الفاجرة والإعراض عن وسائل الإعلام التي لاتتأثم ولاتتحرج، ولكن هؤلاء الدعاة قد غفلوا عن أن وسائل الإعلام هذه لاتقاوم بخطبة يلقونها على المنابر، أو صرخة استنكار يطلقونها في المحافل، وإنما تتم بالعمل الإيجابي البناء، فالأن توقد شمعة واحدة خيرلك من أن تسب الظلام ألف مرة."[٣٥]

نظرا إلى هذين النصين علينا أن نعمل جادين لإشباع آمال القراء عن طريقة كتابة الأدب بكل أصنافه مثل القصة والمسرحية والرواية والشعر وما إلى ذلك التي تحثهم وتشجعهم على الخير والصلاح والهدى وتشيع في النفوس إيمانا صادقا وسعادة ورخاء.

وقد تنبه علي أحمد باكثير إلى هذه الحقيقة منذ نعومة أظفاره ومسك القلم بيده ليتصدى للركام الهائل من الفنون المخرفة المدمرة التي تشيع الإباحية والإلحاد والتمزق فلاتكفي الاستنكارات والمظاهرات والخطب المحمومة، وأدرك تماما أنه لابد من مواجهة الفن المنحرف بفن أصيل وتقديم البديل أمام الناس لأنهم لايستطيعون أن يعيشوا في فراغ بدون إمتاع وتسلية حيث يؤكدلهم أن فيها ضررا بالغا على حضارتهم ومستقبلهم وفيها منافاة لمبادئ دينهم الحنيف. وبدأ يكتب القصص والمسرحيات والأشعار لهذا الغرض النبيل لأن القرآن الكريم قد استخدم الفن القصصي منذ بداية نزوله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة وظل يستخدمه حتى اكتمل نزوله حيث قال عز وجل : "نحن نقص عليك أحسن القصص."[٣٦] كما استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأفاد منه في مجال الدعوة فائدة كبيرة حيث يقول تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون."[٣٧] ولقد تشجع الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ففصل ما ورد في القرآن من مجمل وكذلك بين صلى الله عليه وسلم قصصا كثيرا في أحاديثه الشريفة.

غايات القصص والمسرحيات الإسلامية

سأورد فيما يلي بعض الغايات للقصص والمسرحيات الإسلامية حتى أتعرف من خلال ذلك مدى إسهام أعمال باكثير في رسم صورة واضحة لهذا النوع من الأدب:

١. تقديم فلسفة إيمانية ترشد الناس إلى الفطرة السليمة التي تؤمن بوجود الله عز وجل الذي يدبر الكون.

٢. معالجة القلق والخوف الذين سادا في المجتمع.

٣. تجسيم حقيقة الصراع العنيف بين الخير والشر وهذا الصراع دائم منذ الأجل ويبقى إلى أن قامت القيامة ومن ثم تقديم الانتصار للخير.

٤. معالجة الأوباء الخلقية والانحرافات الاجتماعية والدينية التي تسود في بعض المجتمعات كشيء عادي ولنا في قصة قوم النبي لوط عليه السلام الواردة في القرآن خير مثل على ذلك.

٥. خلق الصحوة الإسلامية فيما بين الناس عن الخرافات والبدع والتقاليد والعادات السيئة التي تعارض مبادئ وعقائد الإسلام.

٦. توعية القارئ المسلم بما يجري حوله من نظم متعددة تستهدف كيانه.

٧. إبراز مواطن القوة والضعف في النفس الإنسانية والعمل على تقوية عوامل الخير وإضعاف عوامل الشر.

٨. معالجة مشكلة الترف والرفاهية من إقبال على العيش الرغد ومتع الحياة ولذاتها. ومن المعلوم أن القرآن قد سبق إلى التحذير من هذا المرض المخيف حيث قال عز وجل : "وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين، فلما أحسوا بأسنا إذاهم منها يركضون، لاتركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون." (سورة الأنبياء :١١-١٣)

٩. العمل على تثبيت قلوب المؤمنين بالله الملتزمين بشرعه المنافحين عن دينه، وذلك عن طريق تشجيعهم على تحمل المشقات والمصائب والعقبات والاضطهاد والظلم والعدوان والتحلي بالصبر والحلم والإيمان القوي بالله تبارك وتعالى.[٣٨]

١٠. الإسهام الفعال في إقامة المجتمع الإسلامي على أسس ثابتة من الحق والخير.

١١. الإسهام في تكوين الفرد المسلم الملتزم بالإسلام عقيدة وتصورا ومنهاج حياة عن وعي.

١٢. الاهتمام بموضوع الحلال والحرام اهتماما كبيرا.

١٣. الحرص على تنمية روح المسئولية لدى الفرد المسلم.

١٤. الدعوة إلى تفويض الأمر كله إلى الله تعالى.

١٥. غرس الولاء الصادق للإسلام شرعة وتاريخا وأبطالا.

١٦. مقاومة فكرة "العبثية" ومحاولة القضاء عليها بطرح البديل الإسلامي.[٣٩]

هل حقق علي أحمد باكثير في أعماله الأدبية من القصص والمسرحيات بعضا من الغايات المذكورة وهل تمكن من أن يرسم لنا بذلك الإطار العام للقصة الإسلامية التي نصبو إليها ونسعى إلى نشرها؟

نعم، إنه حقق في أعماله الأدبية الغايات المنشودة لها ، وأنها نماذج رائعة للأدب الإسلامي. يقول وصفي آل وصفي بهذا الصدد : "ولعلنا لانجد في أعمال جيل كامل من أدبائنا في مصر صاحبة الدور الأساسي في الحركة الأدبية بلاخلاف، مايتسم بطابع إسلامي سوى مسرحيات لباكثير."[٤٠]

وفيما يلي أحاول أن أتتبع تلك الغايات في بعض أعمال باكثير:

فمن ذلك ما ورد في رواية "وا إسلاماه" من خبر المنجم الذي تنبأ للسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه بأنه سيهزم التتار ويهزمونه وأنه سيولد في أهل بيته غلام يرث الملك من بعده، وقد اهتم جلال الدين بهذا الخير، واغتم له، ولكن ابن عمه "ممدود" كان سليم الفطرة مدركا أكاذيب المنجمين، ولذلك فقد حاول أن يصرف السلطان عنها وأن يذكره بقصة "المعتصم" الذي ضرب بأقوال المنجمين عرض الحائط، وانطلق لحرب المعتدين، فانتصر عليهم على عكس ما ادعاه المنجمون.

هكذا يرى ممدود في هذا المنجم وغيره من المنجمين الضاربين للرمل، والقارئين في الكف، أنهم ليسوا إلا دجالين يدعون معرفة الغيب بما أوتوا من براعة و فطنة في تبيين أحوال من يستفتيهم، وتقصى أسراره ودخائله، وعلى قدر هذه الفطنة والبراعة يوفقون إلى إصابة الحقيقة في تنبؤاتهم وتخرصاتهم."[٤١]

ألاحظ في هذه المعالجة هداية إلى الفطرة السليمة التي تؤمن إيمانا جازما بأن الله علام الغيوب، وهي من أسراره ولايقدر أحد أن يطلع عليها.

وكذلك حقق باكثير في روايته المذكورة غاية أخرى وهي بيان العلاج الحقيقي لحالات القلق التي تعتور الإنسان بسبب بعده عن نور اليقين بالله وبسبب غرقه في الشهوات والملذات كما حدث لحمدان قرمط الذي ظل يعاني من ذلك القلق حتى استطاع أن يتخلص منه بإنقاذ نفسه وانقاذ الناس من ويلاته. وإليه أشار باكثير: "فلما أعلن حمدان براءته من المذهب القرمطي ورجوعه إلى الدين الحنيف، سرت "عالية" أخته سرورا عظيما، فانطلقت إلى قصره لتهنئه فوجدته قائما يصلي بخشوع، فما ملكت دمعها من الفرح"

فذلك معنى قوله تعالى :

"فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء."[٤٢]

وفي الرواية نفسها تمكن باكثير من تحقيق غاية انتصار الخير على الشر من خلال عرضه لصورة ذلك الصراع بين "عالية" الأخت الكبرى لحمدان قرمط بما تحمله من مبادئ الخير والحق، وبين راجية أخته الصغرى بما تحمله من عقائد فاسدة تمثل جانب الشر، وقد ظل هذا الصراع يتضح شيئا فشيئا حتى انتهى بانتصار مبادئ الخير.

ولايغفل باكثير أن يتناول الأوباء الخلقية والانحرافات الدينية والاجتماعية السارية في المجتمع الإسلامي المعاصر سريان النار في الهشيم في أعماله الأدبية مشيرا إلى الطريق الصحيح الذي يكفي الناس شرها. فهو مثلا، في مسرحية "الدنيا فوضى" قد وقف في وجه دعاة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في كل شيء مؤمنا بأن ما أمر الله به في هذا الجانب هو الصواب.

السمات العامة لأدب باكثير

هذا من المسلم به أن لكل أديب خصائص وسمات تميزه عن غيره من الأدباء. فإن علي أحمد باكثير يتميز في أدبه بالاتجاه الإسلامي الواضح. وإليكم بعضا منها :

١. العاطفة الإسلامية الجياشة التي تسود في كل فكرة تناولها باكثير كما في رواية "وا إسلاماه" و"الثائر الأحمر" و "مسمارجحا" وغيرها.
٢. الميل الصادق إلى التاريخ الإسلامي حيث كتب عديدا من الروايات والمسرحيات في هذا الصدد.
٣. النظرة الثاقبة إلى الأحداث المعاصرة مثل الجمود والتخلف في المجتمع الإسلامي كما في مسرحيته الأولى "همام".
٤. الالتزام باللغة العربية الفصحى في جميع أعماله الأدبية.
٥. التفاؤل والاطمئنان وراحة الضمير في وقت كانت فيه روح اليأس تري في نفوس الناس.
٦. قضية فلسطين تضم كثيرا من أعماله.
٧. الفراسة والنظرة البعيدة في أعمال باكثير كما في مسرحيتى "شعب الله المختار" و "شيلوك الجديد."[٤٣]

ما أصدق ما قاله الدكتور عبد الله الغذامي عن علي أحمد باكثير في هذا الخصوص: "إنه من أبرز رواد العصر في تنوع إنتاجه، وتعدد محاولاته، وجرأة تجاربه،... فهو أديب شجاع الروح، طموح النفس، صادق النية، مخلص لأمته ولغته، وكفاه ذلك فخرا، وكفانا ذلك سببا لجعله نموذجا حيا لطموح أبناء العربية وصدق غيرتهم."[٤٤]

في ختام هذه المقالة المتواضعة أستطيع أن أقول إن علي أحمد باكثير قد ساهم عبر أعماله الأدبية مساهمات جبارة في رسم الخطوط العريضة للقصة والمسرحية الإسلاميتين، وأن أعماله ما زالت ولاتزال أمثلة حية وأدلة واضحة وقوية للأدب الإسلامي الهادف. وهو

علم من أعلام القصة والمسرحية في الأدب العربي الحديث، وله إنجازات متنوعة ومؤلفات كثيرة، وهو من جيل الرواد الذين يستحقون الدراسة والإشادة بأعمالهم والتعريف بها. وبالرغم من كل ذلك أنه من الأدباء المهملين بسبب انتمائه إلى الاتجاه الإسلامي في أعماله وريادته الأدب الإسلامي.

المراجع والمصادر

١. عبد الرحمن صالح العشماوي، الاتجاه الإسلامي في آثار باكثير القصصية والمسرحية (الرياض: إدارة المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ١٤٠٩م)، ص٢٧

٢. باكثير أحمد علي /ar.wikipeadia.org/wiki

٣. http://naderabdelkhalik.blogspot.com/2011/11/blog-post

٤. باكثير : فن المسرحية، ص٢٠١

٥. باكثير أحمد علي /ar.wikipedia.org/wiki

٦. المصدر السابق

٧. عباس خضر، فقيدنا باكثير، مجلة البيان الكويتية، العدد : ٤٦ ؛ عبد الرحمن صالح العشماوي، الاتجاه الإسلامي في آثار باكثير القصصية والمسرحية ، ص٢٧،٢٨

٨. المصدر السابق، ص٢٨،٢٩ ؛ http:articles.islamweb.net/media/index.php

٩. المصدر السابق

١٠. يحيى العلمي، علي أحمد باكثير، مجلة المسرح، العدد : ١٩

١١. الأعلام، ٧/١٣١ بتصرف

١٢. مجلة المسرح، العدد :١٩، علي أحمد باكثير، فن المسرحية، ص٣

١٣. عبد الرحمن صالح العشماوي، الاتجاه الإسلامي في آثار باكثير القصصية والمسرحية ، ص ٣٤-٣٥

١٤. المصدر السابق.ص٤

١٥. علي أحمد باكثير ، في النقد المسرحي، ص٣٤٤

١٦. مجلة الثقافة المصرية، العدد : ٨٥، عام ١٩٨٠م

١٧. مقومات القصة العربية الحديثة في مصر ، ص١٥٥

١٨. مجلة المسرح، العدد: ٣١

١٩. عبد الرحمن صالح العشماوي، الاتجاه الإسلامى، ص٥٢

٢٠. الشيخ محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية ، ص ١٠

٢١. http://articles.islamweb.net/media/index.php

٢٢. د. محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث (تاريخ ودراسات)، (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٩٠م)، ط٥، ص٢٦٠

٢٣. د. إبراهيم أنيس والمجموعة، المعجم الوسيط، (بيروت: المكتبة الإسلامية،ب ت)، ج٢، ص٩٨٨-٩٨٩

٢٤. د. روحي البعلبكي، المورد (قاموس عربي-إنكليزي)،(بيروت : دار االعلم للملايين، ١٩٩١م) ط٣ ، ص١١٩٣

٢٥. محمد بن سعد بن حسين، الأدب العربي وتاريخه (العصر الحديث)، (الرياض : وكالة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لشئون المعاهد العلمية، ١٤١٢م)، ط٥، ص٨٩

٢٦. محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث : تاريخ ودراسات، ج١، ص١١

٢٧. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت : دار صادر، ١٢٠٠هـ)، مج١ ، ص٢٠٦

٢٨. د. إبراهيم أنيس والمجموعة، المعجم الوسيط، ج١، ص٩

٢٩. أحمد الشائب، أصول النقد الأدبي، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية)،١٩٩م ، ط١ ، ص١٥

٣٠. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، القاهرة : مطبعة نهضة مصر، ١٩٣٥م ، ط٢٤ ، ص٣

٣١. د. محمد عبد المنعم خفاجي وزميله، الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدرالإسلام، (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية)، ب ت ، ط١ ، ص٦

٣٢. د.نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي (مقال)، (قطر : كتاب الأمة،١٤٠٧ه)، ص٢٦

٣٣. عبد الرحمن صالح العشماوي، الاتجاه الإسلامي، ص ١٩

٣٤. نجيب الكيلاني، حول الدين والدولة، ص٣٧

٣٥. مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود، العدد : ١١، ص٣٣٤

٣٦. سورة الروم : ٣

٣٧. سورة الأعراف : ١٧٦

٣٨. عبد الرحمن صالح العشماوي، الاتجاه الإسلامي في أثار باكثير بتصرف، ص٢١٣-٢١٤

٣٩. المصدر السابق، ص٢١-٢٢

٤٠. وصفي ال وصفي، الأدب الإسلامي : القضية والحل، مجلة الفيصل، العدد : ٦٣ ، ص٧٠

٤١. علي أحمد باكثير ،وا إسلاماه، ص١٠

٤٢. سورة الأنعام : ١٢٥

٤٣. عبد الرحمن صالح العشماوي، الاتجاه الإسلامي في أثار باكثير بتصرف ، ص٢٢١-٢٢٣

٤٤. مجلة اقرأ السعودية، العدد : ٣٩٠، الصادر في ١٢٥\١\١٤٠٣هـ